إفريقيا والسلام المفقود!

هل قُـدّر لإفريقيا أن تكون قــارة الصراعات والفقر والتخلّف، وأن تتصدّر الدول الهشّة؟!.. لا شك أنَّ ما تعيشه القارة الآن هو من فعل الإنســان؛ ضعــفٌ وعجزٌ داخلي، ومكرٌ وتسلّطٌ خارجي.

فالقارة التي دارت وتــدور فيها الحروب والصراعات بين أبنائها الأصليّين، بسبب أيدٍ خارجية ساهمت وتساهم إلى اليــوم في زعزعة الســلام في إفريقيــا لمصالحها الخاصّة، هذه القارة تملك مقوّمات القوّة والتقدّم والسلام والتنميــة؛ متى ما وُجــدت الإرادة والقيادة التي تُحســن استثمارها.

فمن حيث الإمكانيات البشرية يبلغ عدد سكان القارة ملياراً من البشر، ومنطقة جنوب الصحراء الإفريقية تضمّ أعلى نسبةٍ من فئة الشباب (٢٠,٢٪) في سنّ (١٥ - ٢٤)؛ بالمقارنة بغيرها من المناطق المجاورة.

ومن أسباب الســلام والاســتقرار في القارة الثروة الطبيعية الكبيرة، حيث أظهرت دراســة أعدتها شــركتا «أفريقا إنفستور» و «أفريقا قروب» للأبحاث الاستثمارية: أنّ إفريقيــا تمتلك ثروة كامنة فــي قطاعاتٍ مثل الزراعة والسياحة والمياه، تقدّر بنحو ١,٧ تريليون دولار؛ لم تكن معتبرة ســابقاً، وقدّرت الدراســة أيضاً: أنّ إفريقيا تملك مخزونات قابلة للاستخراج من النفط الخام والغاز والفحم واليورانيــوم، تتراوح قيمتها بين ١٣ تريليون دولار و ١٤,٥ تريليوناً.

تقارير صندوق النقــد الدولي تقول: إنّ الدول الثرية بالمعادن هي التي يشــكّل تصديرها أكثــر من ربع قيمة الصادرات، فنجد أنها تصل إلى ٦٦٪ في القارة الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى.

وفي القارة الإفريقية ٧٥٪ من المياه العذبة، وبها ٧٢٪ مــن الأراضي الصالحة للزراعة، وهي مُطلّة على الممرات المائية المهمّة في العالم[1]، ولهذه الأســباب لُقّبت القارة: بـ «قارة المســتقبل»، و «محور الاقتصاد العالمي»، وهذه الألقاب لها ما يسوّغها.

ولكن هل يمكن أن تصبح إفريقيا قارة مستقبل العالم، وتمثّــل المحورية الاقتصادية في العالم؛ في ظلّ الحروب، والجهــل، والمرض، وإهمــال أغلبية الســكان، وإبعادهم عن الحياة السياســية والاقتصادية والتعليمية والثقافية، وممارسة الضغوط الدينية عليهم؟!

إنّ الســلام في إفريقيا ليس مســتحيل التحقيق؛ إذا توفرت بعض الشروط الموضوعية الواقعية، ومن أهمها:

- علــى أبناء القارة أن يعلمــوا أنّ حريتهم ونهضتهم وأمنهم وســلامتهم بأيديهم هُــم، وأنّ الخارج لا يريد لهم إلا إهلاك أنفســهم وأوطانهم؛ بكثــرة الصراعات الدينية والمذهبية والعرقية والقبلية؛ لكي يغفلوا عن تنمية بلدانهم.

- العمل على عودة ســتمائة مليون مســلم سنّي إلى أصول الإسلام الصحيحة (كتاب الله العظيم، وسنّة النّبي الكريم صلى الله عليه وســلم)، وهذه العودة هي الوســيلة الوحيدة التي تخلّص المســلمين من العــادات والتقاليد والخلــط بين ما هو من الإســلام، وما هو مــن الوثنيات الإفريقية ما قبل الإسلام التي تزيد الجاهل جهلاً، وتعطّل طاقات الإنســان العقلية والبدنية، وتقتــل عوامل التنمية الإيجابيــة في حياتــه، وتغرقه في بحرٍ مــن الطرقيات، والحركات الباطنية، والمذهبية المسببة للبغضاء والتنافر

(١) برنامج الأمم المتحدة للتنمية في إفريقيا - تقرير رقم ١٠١٦ - لعام ٢٠١٤م.
- http://answersafrica.com/oil-producing-countries-africa.html
- http://www.investopedia.com/articles/investing/101515/biggest-oil-producers-africa.asp
- http://www.youm7.com/story/2014/16/2
- http://www.gettyimages.ae/detail/news-photo/boy-pokes-his-head-through-a-gate-where-food-is-being-news-photo/108096898

والاقتتال والحـــروب بأنواعها، ومن خـــلال هذه العوامل أصبح غالبية ســـكان إفريقيا تحت تأثيـــر قوى خارجية، تمكنت تلك القوى من تخديره، واستغلاله في فتن الحروب التي تستفيد منها تلك القوى.

– البحث عن سُـــبل التـــوازن بين المســـلمين وغير المســـلمين في القـــارة، ويدخل في إيجاد هـــذا التوازن المطلوب الذي يليـــق بحجم المســـلمين: تحقيق العدالة الاجتماعية والدينية والثقافية وقبول الآخر كما هو، وهذا يتطلب تفعيل المجتمع المسلم في القارة، وتسجيل حضور مؤثّر له في المجـــال الوظيفيّ والسياســـيّ والاقتصاديّ والتعليمـــيّ والثقافيّ والديني، وحصـــول التوازن في هذه المجالات يحقّق العدالة على مختلف المستويات، والعدالة شـــرطٌ أساسيٌّ للاستقرار والســـلام الدائم، وبها يحصل استثمار كلّ الكفاءات والقوى النافعة في المجتمع.

إنّ من واجب المسلمين، والقيادات الوطنية المخلصة الإفريقية، إيجاد مبادرات ومشاريع تحقّق هذا التوازن في القـــارة، فليس من العدل ولا المقبـــول – مثلاً – أن نجد اليوم غياباً كبيراً للمســـلمين في الوظيفة العامّة في الدول الإفريقية ذات الأغلبية المســـلمة، وعلى ســـبيل المثال: نســـبة المسلمين في دولة تشـــاد ٨٥٪، ولكن في الإدارات والوظيفة العامّة ١٠٪ عام ١٩٩٣م، وهبطت هذه النســـبة في عام ٢٠١٥م إلى ٨٪ لوجود مؤسّســـات تابعة للكنيســـة تزوّد تشـــاد بالكفاءات في كلّ المجالات، ولا يوجد مقابل هذا المركز مؤسّسة حكومية أو عربية إسلامية متخصّصة تقوم بمثل هذا العمل!

ومن الناحية الثقافية: نجد الثقافة العربية الإسلامية مغيّبـــة في خطط الدول التنموية وفي الإعلام؛ بالرغم من أنّ الثقافة العربية الإسلامية هي الثقافة الوحيدة المكتوبة للقـــارة الإفريقية قبل وصـــول الأوروبييـــن، وكانت اللغة العربية لغة الدواوين والمراسلات والتعليم من القاهرة إلى موزامبيك (موزمبيق).

ومن الناحية الدينية: تمّ تهميش الإسلام دين الأغلبية في القارة، وتمّ تجريمه بصورة ملفّقة، ما عدا ما يســـمّيه الغرب ومجنّدوه المحليون: «الإسلام الإفريقي» أو «إسلام الأجداد».

وفي مجـــال التعليم: ٦٤٪ من التعليم العامّ و ٩٦٪ من الخاصّ تسيطر عليه الكنسية[1].

– على المســـلمين أن يكثفوا جهـــوداً خاصّة لتوحيد الصفوف؛ من خلال بناء حوارٍ (إسلاميٍ – إسلاميّ)، لمنع نقل المعارك إلى داخل البيت المســـلمٍ، وهذا يمكّنهم من الوقوف في وجـــه الفرق الهدّامة وجماعات العنف، والحدّ من استغلال الآخرين لهم، واستخدامهم في ضرب بعضهم ببعض.

– إنشاء المراكز البحثية المتخصّصة ودعمها، للنزول إلـــى الميدان من خلال باحثيـــن متخصّصين في القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية والفرق الهدّامة والإرهاب.

– مـــن المهم لأبنـــاء القارة تقييم مســـتوى الارتباط بالمستعمر القديم وأبنائه، وأثره في الوقت الحاضر، وماذا جنت القارة وأهلها من هذا الارتباط والتبعية، وأين هويتهم الوطنية والثقافيـــة واللغوية، وخصوصياتهم بوصفهم أمّة لها رسالتها وتاريخها وحضارتها.

– وضع قواعد عادلة ومنصفة في التعامل مع الإسلام وأهلـــه، والبعد عن الحملات التشـــويهية ضدّ الإســـلام، والكفّ عن زرع التخويف من الإســـلام في قلوب الأفارقة غير المسلمين، وهذه السياســـة المتبعة لا تجلب السلام ولا الاســـتقرار إلى القارة، ومشروع المحورية الاقتصادية في القارة لا ينجح في ظلّ وجود خوفٍ وهميٍّ من الإسلام وأهله.

– توســـيع نطـــاق الاتصال والحـــوار مـــع مكوّنات المجتمعـــات الإفريقيـــة؛ بصورةٍ تشـــمل المجتمع بكامل طوائفـــه وانتماءاتـــه، عبـــر ممثليه، والحوار كفيلٌ بســـدّ الثغرات، ووأدِ محاولات الفرقة والصراع في البلدان.

وأخيراً:

إنّ الـــدور الأكبـــر في تحقيق الســـلام والاســـتقرار والازدهـــار يقع على أبناء القارة، وهـــم قادرون على ذلك بإذن الله تعالى.

---

(١) التنصير الجديد في إفريقيا، ص ١٨١.
LA NOUVELL EVANGELISATION EN AFRIQUO : TCHIREGORAIL